رواية مثلث الموت

هيمنة الحدث على البناء السردي

مؤيد عليوي
الحلة

رسم الروائي المبدع علي لفته سعيد ، خطوط روايته على حدث مهم من الواقع السياسي الاقتصادي الاجتماعي العراقي، إلا وهو تداخل الخنادق حيث تحوّل رجال استخبارات ومخابرات النظام السابق، إلى رجال دين وقياديين اسلامويين، مباشرة فور سقوط صنمهم في9 نيسان 2003ليكونوا هم أصنام جديدة بذرائع جديدة مادامت الموجة القادمة موجة الإسلامَ السياسي ببزة المقدس مستغلين الجهل والتخلف في أغلب المجتمع بسبب نظامهم السابق، وإحاطة الأصنام الجديدة بهالة القدسية،الذي تجلى في وسم الرواية بـ" مثلث الموت " لمناطق القتل الطائفي على الهوية سنة2006خارج العاصمة جنوباً (اللطيفية وغيرها).

موقف مهم

لقد بدأت الرواية بموقف مهم إلا وهو عثور احد الصحفيين العراقيين على وثائق تدين احد القادة الجدد وعلاقته باستخبارات بالنظام السابق، كانت هذه البداية تحت عنوان " شمول " بوصفها مقدمة للرواية وارتكازها على الحدث الكشف الذي يحرك الشخصيات الرئيسة الصحفيين الأربعة منتظر وسلام واحمد وخضير، كما يحرك الشخصيات الثانوية، وكذلك تعمل أهمية الحدث في سير المواقف اليومية للمتن الروائي بين الأفراد والمجتمع وحركة البنية التحية منه : الفقراء وسائقي الكية والباعة الجوالين وأصحاب المحلات، مع حركة البنية الفوقية للسلطة في بحثها عن الإرهابيين، وببراعة الروائي علي لفته سعيد تنقسم الأحداث والمواقف إلى ما يرويه الراوي العليم في المتن مباشرة أو ما يرويه بشكل غير مباشر عبر ما تتذكره الشخصيات الرئيسة في (الفلاش باك) التي أخذت دائماً شكل قصص قصيرة كان يعيشها أبطال الرواية في زمان النظام السابق،وجميعها متصلة بالحدث المحرك لكل خيوط الرواية خيط الإرهابيين وخيط السلطة الجديدة التي لا تفصح عن الحقيقية التي يسأل عنها الصحفيون، وخيوط تترابط بين بعض رجال الدين الاسلامويين وجمهورهم واستخبارات النظام السابق واكثرهم من مناطق كثر فيها الإرهاب في حزام بغداد ، وبين الذين كانوا مُعتقلين في الأقبية وصاروا محافظين، وبين من كان يعمل في صحافة المعارضة للنظام السابق خارج العراق، وكيف تعامل أصحاب الكراسي الجدد مع أصحاب أمسهم من الصحفيين، ثم تصل ذروة العقدة في منتصف الرواية وتبدأ خيوط الغموض تنكشف وتتواصل مع بعضها حتى تنهي الرواية بمقتل ثلاثة صحفيين – الشخصيات الرئيسة – وهروب رابعهم خارج العراق بسبب الإرهاب غير المسطير عليه من قبل الحكومة في واقع الرواية سنة 2006 .

طعم التشويق

وبذكاء ماكر رمى المؤلف طُعم التشويق في – شمول- المقدمة ، فالذي عثر على الوثائق استخبارات النظام السابق صحفيٍّ وأحد أبطال الرواية، وبعد المقدمة أخذ المتنُ مباشرة يتدفق روائياً عن شخصيتين رئيستين وهما صحفيان –منتظر وسلام – مما يزيد التصاق القارئ في بحثه عن متابعة القراءة، بالذكاء ذاته أيضاً جعل المؤلّف احد الصحفيين يعمل مراسلا لأحدى الوكالات الإعلامية الأجنبية، والثاني يعمل لدى وكالة عراقية ليتشكل السؤال التالي مَن منهما حصل على تلك الوثائق ويزاد السؤال عمقاً عندما تظهر شخصيتا زميليهما في سطح المتن، لتتوافر فرصة البحث في البناء الروائي المرتكن على حدث يدفع ويحرك الشخصيات بغموض تتطلبه الرواية ولاسيما أن شخصياتها الرئيسة تعمل في دائرة بحث المعلومة ونشرها وفي دائرة الخطر الإرهابي وعدم رضا السلطة مما يوفر دافعاً فنياً للروائي علي لفته سعيد في ارتكان روايته على الحدث ، ويندفع بعدها المتن بسرد المواقف والأحداث حول العمل الصحفي، التي تدور في ذات الوقت بين الشارع العراقي والناس والانفجارات، وبين السلطة وعمل الصحافة في الكشف عن الحقيقية ، وقد كان الحدث الارتكاز مقابلة صحفية لشخصية رجل الدين في المتن الروائي ، الذي كان استخبارياً قيادياً في النظام السابق، غير المكشوف للمجتمع العراقي، مما وفر له جمهورا كبيرا يهتف بأسمه مع أنه يجيد أموراً دينية كثيرة تعلمها عندما كان يدرس الدين على يد أحد المسجونين في سجون النظام السابق،والتي كان حينها يقوم بعمله ألاستخباراتي ونقل أسماء المسجونين المحكومين بالإعدام بحسب توجيهات نظامه الدكتاتوري آنذاك، وهذه المعلومات تجيء من ذاكرة المحافظ الجديد الذي حاصرته الأسئلة الأمنية والصحفية ونشر خبر اختطاف ثلاثة صحفيين عراقيين، كما حاصرته صيحات الناس في الشوارع تتعرض على الانفجارات بين يوم ويوم ،وهنا في منتصف الرواية يأخذ البناء الروائي منحا حل العقدة حتى تدخل التفاصيل اليومية بوصفها جزئيات مهمة في البناء وجميعها متصل مباشرة بما يقوم به رجل الدين المشبوه وتداخل الخنادق الذي قام به فقتل مَن قتل من العراقيين بذريعة مقاومة المحتل، وربما شخصية رجل الدين هذا الذي كان يدعو لمقاومة الاحتلال بأسم الدين وليس بأسم الوطن يمثل سلسلة متصلة لما قام به النظام السابق من إعلان حملته الإيمانية التي دفع بها المجتمع إلى أمور دينية أو التدين الزائف ليكون غطاء مستقبلي لحركات إرهابية وغسل أدمغة الكثيرين وتجنيدهم، إذ من المعروف أن الدين لا يأتي بقرار حكومي أو سلطة سياسية توجه المجتمع ،بل الدين علاقة فردية بين الإنسان وما يعتقد ، لكن من الواضح أنها كانت تمهيد أرضية لحروب طائفية قصيرة الوقت لمراحل معينة، وطويلة الأمد بتدخل دول جوار العراق، مما حركة المياه الطائفية الراكدة حتى تفشت في خطاب وفعل الإسلام السياسي بشقيه في العراق الجديد، ثم تنهي الرواية ضمن حل العقدة بملاحقة السلطة لضابط الاستخبارات السابق أو رجل الدين الجديد من اجل انقاد الصحفيين سلام واحمد وخضير، لكن ما من جدوى حيث يسأل عنهم زميلهم منتظر ليجدهم قد قُتلوا على يد أحدى زمر ضابط الاستخبارات آنف الذكر.. في منطقة مثلث الموت جنوب العاصمة بغداد، كما لم ينه البناء الروائي حالة القتل والقتال الطائفي بل جعل النهاية مفتوحة على احتمالات متعددة،مما يشي بمعنى من المعاني :أن إمكانية تسلل استخبارات ومخابرات النظام السابق،إلى مواقع السلطة العليا الجديدة عبر دخولها – تحت مفهوم التوبة – إلى أحزاب الإسلام السياسي والتي هي حديثة عهد بإدارة الدولة وتحتاج أليهم .

غلاف الرواية

جلسة نقاشية وحوارية

الأدباء يرفعون صوت التلفاز

كريم جبار الناصري
بغداد

احتفى نادي السرد في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق بالروائي (علي الحديثي) لفوز روايته (ارفعوا صوت التلفاز) بالمركز الأول في مسابقة دار الرابطة للتوزيع والنشر في الإمارات العربية لعام 2016 ..

ترحيب وأسئلة

ادار الجلسة الروائي (اسعد اللامي) الذي بدوره رحب بالروائي علي الحديثي وبالحضور ووجه أسئلة للضيف، ومنها عن كيف توصل الروائي علي الحديثي لهذا العنوان؟ والشعور بأن الروائي في هذه الرواية وكأنه البطل؟ وعن تأثيث الأمكنة والشخصيات في الرواية التي لم تكن موجودة أحيانا فهل تقصد الروائي بذلك؟..

(علي الحديثي) أجاب موجزا : كروائي – ولربما غيري أيضا– لا أضع العنوان إلا في النهاية، فكان عنوان الرواية (خريطة الموتى)، ولم استسغه، وقد تنبهت لحالة شخص أوحى لي بهذا العنوان، وإنا مقتنع به تماما، وهو عبارة عن إيحاء لشيء معين أتركه للقارئ.. وأما عن الذاتية، فكل إنسان يحمل القلم ليكتب عن نفسه آلامنا أحزاننا أفكارنا.. فتنطلق من الذاتية إلى الآخرين، فهل نكتب بذاتية مملة؟ هذا يعتمد على الكاتب، فهناك الصياغة، الأسلوب.. وأسمع ذلك كثيرا، فأقول الذاتية ليس خللا في الرواية، فأنا موجود بكل ما كتبته.. عندي الفكرة أولا قبل تأثيث الأمكنة، حيث أضع ذهني للمعنى والفكرة التي أريد إيصالها، فلا أضع في فكري كثيرا في الأمكنة والشخصيات...

دراسات نقدية

كانت هناك قراءات نقدية، منها قراءة الناقدة (أشواق النعيمي)، فجاء في دراستها ان تندرج رواية (ارفعوا صوت التلفاز) بين البنية الروائية التي تنهض على افتراض الواقع التخيلي والبنية السير ذاتية المؤسّسة على الرؤية الاسترجاعية لواقع مطابق للزمن الذي عاشته الذات الساردة، هي إذن موصولة بسياقاتها الاجتماعية والأيدلوجية، تستقي من رؤية تاريخية أحادية المنظور كونها تستعير مادتها من خزين الذاكرة المستدعاة من ماضي (المؤلف والسارد والشخصية) على افتراض التطابق، إلى الخطاب السردي عبر جسور اللغة، واللغة ترتقي إلى مستوى التعبير البلاغي الثري بالمجاز والإيحاء والدلالة، الرواية بأجزائها الحلقية المتتابعة انفتاح فضلا عن السيرة بغض النظر عن كونها ذاتية أو غيرية إلى أجناس عاصرها المؤلف، وعليه أن يواجه أسئلة النص الصريحة والمخاتلة والتي تراوح بين الجدل الفلسفي والصوفي والأيدلوجي..

تطرح جدلية الحب والحرب المعادلان الموضوعيان للحياة ولموت، الحب يتجلى في صور لعل أكثرها إضاءة، صورة الأم المعادل الموضوعي للحياة، والمكان الحميم، مدينة المحمودية، وصورة الحبيبة الخيط المتأرجح الذي يربط السارد بعالم ما خلف الحرب، وصوت التلفاز الذي يخفي صخب الحرب، بمعسكراتها وسجونها ضباطها وجلاديها، فوبيا السلطة، هواجس الخيانة، وربما أراد المؤلف من رفع صوت التلفاز لقمع الماضي وضجيج حرب ما زالت برغم انطفائها مستعرة في ذاكرته...

أمّا الناقد (محمد يونس) فقدم دراسته... تحليل بنية النص الروائي في رواية ارفعوا صوت التلفاز لعلي الحديثي.. والتي أشار بها إلى:

اللغة –هي الكيان الأساس الذي يفسر النص الروائي وفق تطوراتها وتأهيل نظامها

-1لغة بناء العمود الفقري، وهي اشتملت على شتى مقومات التداول، من واقعي إلى متخيل إلى نمو وحدات ثانوية.

-2لغة السارد –الراوي –بشقيها الخارجي والداخلي، فخارجيا اللغة كانت شكلا اجتماعيا، وداخليا هي أفكار ومشاعر وأحاسيس.

-3لغة الحوار –تنوعت بين الفعل ورد الفعل السائد إلى حوارات خارج الزمن العام.

السرد –كان السرد من نمط المنقطع، وهو حيوي النمط وفاعل في خلق أجواء ليست باتجاه واحد.

أ -أسهم في تطوير وحدة الزمن بكسر التتابع الرتيب.

ب -دعم حركية الإيقاع، حيث تعددت الإيقاعات، تناغم أحيانا داخليا وعلى خلافه نسبيا خارجيا حسب موقف السارد.

ج – نمو الحدث ليس باتجاه واحد، بل بعدة اتجاهات مخلفا بذلك أحداثا مرادفة له.

البعد الفكري –لسنا بصدد محاكاته أو معارضته كليا أو جزئيا.

أ -الاجتماعي –حيوي النشاط، متعدد الآفاق العامة والخاصة.

ب -الأيدلوجي –حسب مواقف الشخصية المأزومة أيدولوجيا بلا مبالاة

الاغتراب –الداخلي –وبان تأثيره على المؤلف الخارجي، لكن لم يفصح عنه لالتقاطات الذات الواعية داخل النص الروائي تمثل تحولا في

أ -المفارقة.

ب -القصدية.

ج -التجريد.

المتعة والتلقي وجاء في:

1– التلقي العام

2– التلقي الخاص

أ –وعي مقابلا لقراءة ب– تلقٍ تأويلي ج– تلقٍ أيدلوجي

معادلانِ موضوعيان

وتحدث الناقد (طالب هاشم الدراجي) في دراسته التي تميزت بخصوصية البحث في عنوان الرواية، نأخذ بعضا منها بقوله:

" بنية العنوان.. (ارفعوا صوت التلفاز) بنية عميقة، تأخذُ بنا إلى عمارة النص ومضمونه الإجمالي، لما فيه من "وظائف لغوية ومرجعية وتأثيرية وأيقونية، باعتباره مجموعة من الدلائل اللسانية كما عند جيرار جنيت وهنري متران ولوسيان كولدمان وشارل كريفل وروجر روفر وغيرهم."

وأضاف: فما هو السياق النظري لعتبة هذا العنوان؟

من وجهة نظرٍ أسلوبية فالعنوان هذا قائم على جُملة فعلية، تستخلص البنية الدِّلالية في النص، ومع أن العنوان يُجسّد الرواية فهو لا يخلُقها بقدر ما هو (لعبة فنية وحوارية بين التحدّد واللا تحدّد، بين المرجعية المحددة، وبين الدلالات المتعددة، وذلك في حركة دائبة بين نصّين متفاعلين في زمن القراءة)، إذن فَالعنوان بوظيفته الأسلوبية ضمن علاقات بلاغية قائمة على المشابهة، أو المجاورة، أو الرؤيا، فيتجاوز العنوان مجازيا مع دلالات الفضاء النصي للغلاف، وتنصهر الصورة العنوانية اللغوية في الصورة المكانية، لونا ورمزا، فهو بنية دلالية وإشهارية عامة للنص الروائي، فإننا نتساءل عن القيمة الموازية لهذه العتبة النصّية والتي أراها من وجهة نظري النقدية أن العنوان هذا هو لتبئير دلالات الرواية وإعلان نياته ومقاصده دون أن يفصح عن علاقته بكيفية كلية، مثلا ما بين القوسين (الغرضية + الإحالة + المرجعية + الدلالات)، وهنا يمكن اعتبار وظيفة العنوان في المستوى التأويلي وظيفة كنائية..

وأكد عن ثيمة الرواية من خلال العنوان: هكذا نفهم أن العنوان (ارفعوا صوت التلفاز) هو ثيمة الرواية بمجملها، ويهدف إلى معنى أساسي تتشظى منه معانٍ أخرى تنتمي كلها للأساسي بطرقٍ مختلفة، حيث هنا جعل المعنى قائما على قوة الصراحة والإفصاح والشعور الذي أحسّ به الشخصية صلاح من أمّه، حين قالت له في لحظة شعورها بخوفه (خايف مو؟)، إن الروائي علي الحديثي استخدم التلفاز كذريعة لعدة مواقف في الرواية، مواقف تناولت الإنسان والوطن والشعب والسلطة والذاكرة والحب والظلم والخوف والعقاب والضياع وما إلى ذلك من قضايا الحياة وتداعياتها،

وأشار في جانب من الدراسة: خاضت الرواية في قضايا عديدة وكبيرة ومرّت عليها بلطف خفي، حتى إن المستوى الدلالي في عملية السرد الروائي كان بمستوى القصة القصيرة، لكن أثر تمطيط السرد واضحا في تغليب الزمن على المكان، من خلال التتاليات السردية مرحليا نحو نقل الحدث في المونولوج الداخلي والخارجي للشخصية صلاح، بينما كان السارد يستهدف الوصف نثريا مقطعيا، ثم يتقلب في الحكي المسرود وهو في الغالب منه يتخذ شكل السارد المونولوجي الذي يستحوذ على أكبر قدر من السرديات داخل الرواية.. وهذا الكمُّ من السرد من خصائص السرد السيري، لأنه تسلسلي تتابعي نظمي، لكن في روايتنا هذه نفتقدٍ إلى تاريخ الشخصية، وهذا بحدٍ ذاته يمنع من تصنيف السيرية للرواية، في حقيقة أنا لم أرغب باستهداف نقاط الضعف في الرواية، بسبب نقاط القوة فيها، لقد وجدت بعض الهنات في الرواية أتمنى على الروائي علي الحديثي أن يتجنبها في أعماله القادمة، فلا أعلم من يقصد في الصفحة " "14العنوان "أرض سبخة " (لا أخفيكم تغلب التفكير بسجى على التفكير بأمي)، وهنا أسأله لمن وجهت كلامك هذا (لا أخفيكم)؟ للقارئ أم للضمير؟ وهو يُخاطب الجميع، والجميع كل قارئ للرواية.

مداخلات حوارية

كانت هناك مداخلات للحضور أغنت الجلسة بطروحاتها، ومنها للقاص والصحفي (أحمد جبار غرب) الذي قال: أكد الروائي علي الحديثي أنه موجود شخصيا في روايته الجديدة الفائزة، وحقيقة الكتابة عن الذات أو الكتابة الذاتية لا مناص منها، ولكن يجب أن لا تجسد كاملا ولا نتقمص شخصيتنا بشكل مطلق، وهنا ينعدم الإحساس بالخيال، كونه ينقل تجربة ذاتية حتى وإن كانت جميلة ومؤثرة والكتابة الواقعية في الأدب والفن لا تعني نقل الواقع بكل حذافيرها وإلا انعدم التخيل والخيال بالزمان والمكان، ونحن نستطيع أن نجترئ من شخصياتنا وتوظيفها للعمل الروائي مع إضافات المتخيل الروائي للأحداث والأمكنة، أما نقل الواقع كاملا والاهتمام بالذات وترك التجربة الإنسانية الثرية فسوف نفقد القدرة على التخيل وعلى الولوج في عوالم متعددة وصور من الحياة هي غريزة بمعطياتها، والمدهش أن الروائي علي الحديثي يقول إنه موجود بكل رواياته، وهذا مثير للدهشة، إنه جعل نفسه مختبرا روائيا وتسجيل حياته وثائقيا وليس نقل شذرات من حياته تكون هي الحبكة والثيمة التي ينطلق منها، عموما أهنئ زميلي علي الحديثي على الفوز المستحق، ويبقى الأسلوب هو ملك الروائي وسلاحه في الكتابة.

أما الكاتب والمسرحي (عبد السادة جبار) فقد نوه على الفوز بقوله: له دلالة سلبية على الثقافة العراقية كونه من جهة خارج العراق، وله دلالة إيجابية، فنحن المغيبين حين نحصد ثماره.. وأشار إلى الرواية التي وجدت صالحة للقراءة، فكل الفئات تتلقاها، عكس بعض الروايات.. واستخدم الفلاش باك الشبكي بصورة فنية، بينما عودنا في أعماله التي كتبها، يبدأ من الداخل ولا توجد من الخارج من ناحية الشخصية، فلم نرَ شخصية مستقلة، وذكر الروائي وقائع لكن لم يحرمنا من الخيال.

الناقد (إسماعيل إبراهيم عبد) كان له رأي بمداخلته وهو إن "بعضهم تحدث عن الرواية، فوجدت أن لا يوجد حدث غريب في الرواية، فهناك ممارسات يومية مثل بيع الكلية.. جميعنا قرأ الرواية وأخذ جانب المعنى دون أن يأخذ الجانب الروائي ومنها اللغة، فهناك نظام الثيمة للعمل الذي يحافظ على وحدة الموضوع –تقنية اللغة الإشارية –الزمنية –الفنية – اللعبة المخفية –أما السرد المنقطع فهو عندما يتوقف الوصف..

بينما الكاتب (سعد السوداني) توقف عند العنوان الذي يمثل المرسل والوسيلة ومستقبل، فهناك معان ورسالة تصل المتلقي، وعلى الروائي يوضح من هو المرسل والمستقبل..

أما الكاتب والقاص (عبد الأمير المجر) فنوه ان الكاتب موجود أو غير موجود فالرواية توصل خطابا، ونحن نعرف الكاتب، فلذلك نقول موجودا أو غير موجود، وعن الأيدلوجية فأعتقد أنها التحزب وموضوعة المكان فتوجد الضرورة في وصف المكان والشخصية.

الأكاديمي والناقد (د. محمد ونان) أوجز مداخلته بأنْ جمع بين الأمرين، والرواية تعد منتمية إلى السرد الحكائي، والعناوين الفرعية قد تقطع تلقي القارئ للرواية، وكانت له هناك ملاحظ لغوية عن جملة..

الكاتب والصحفي (هشام آل مصطفى) فقدم تهنئة وسُرّ بما قدمه النقاد في دراساتهم من أدلجة وتداولية ونصية، وتساءل هل الرواية جزء ثانٍ من رواية ذكريات معتقة باليورياً؟ ولماذا استخدمت بعض الألفاظ الشعبية.

رواية ثانية

القاص (عبد الكريم الساعدي) والناقد (محمد جبير) والقاص (عبد الكريم حسن مراد) والروائي (عبد الزهرة علي) نوهوا على ان عنونة العنوان لمعبر وإخبار سليم جمع بين أزمة وأمل والتشبث بموضوعة الجندية والعناوين الفرعية وعلى القراءة مطلوبة عن الرواية حسب ما وجدته في القراءات النقدية التي قدمت.

وختم المداخلات (د. خليل إبراهيم) حيث أكد على أن تكون هناك مزايا للرواية لتجعلها تفوز، وما هي عيوب الرواية؟ نحن تعودنا أن كتابنا ينجزون، ونقادنا يكتبون، فمحتاجون فعلا أن نفهم معنى النقد، والنقد أن تبين مزايا صاحبك..

ختام الجلسة قدم الروائي (علي الحديثي) رده الموجز عن الدراسات والمداخلات، وقدم الشكر للجميع ...

جانب من الجلسة وقد ظهر فيها علي الحديثي ومحمد يونس واسعد اللامي